Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N°:1-2023, P.P :01-16

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13، العدد1- 2023 ، ص.ص: 01-16

حق الطفل في التأمل و ممارسة الفكر النقدي و الفضول الفلسفي

The right of the child to contemplate and practice critical thought and philosophical curiossitity

أشواق خلفاوي

جامعة مولود معمري، تيزي وزو(الجزائر)، bilaachouchouachouak@gmail.com

تاريخ الاستلام : 05/ 11/2022 ؛ تاريخ القبول : 2022/12/15 ؛ تاريخ النشر : 2023/02/20

الملخص

معروف عن الفلسفة أنها دائما ما تكون ضمن المناهج التعليمية في المرحلة الثانوية فقط هذا ما اثار فينا جملة من التساؤلات، عن عدم وجود الفلسفة كمادة تعليمية في كل الأطوار، وخاصة في الطور الابتدائي، أين تتولد لدى الطفل مجموعة من التساؤلات، التي تتكون نتيجة الغموض الذي طغى على فكره، اذ يقوم بطرح اسئلة فلسفية، مثل كيف أتينا الى هذا العالم؟ومن هو المسؤول عن وجودنا؟

و هدفنا من هذه المداخلة، يكمن اساسا في اعادة الاعتبار للتفكير الفلسفي، أما النتائج المتوصل اليها فتتمثل في ضرورة ممارسة الفكر الفلسفي لدى الطفل، لما لها من أهمية بالغة في الحياة العليمية و الحياة اليومية.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الفلسفة، التربية، التعليم، النقد.

Abstract

It is known, about philosophy, that it is always included, in the educational curricula at the secondary, level only this raised a number of question in us, on the lack of philosophy , as an educational material in all stages, especially in the primary stage,where does a child generate a set of questions that are formed, as a result of the ambiguity that dominated, his idea he asks philosophical question, such as how did we come, into this word ? and who is responsible, for our existence, our goal in this intervention lies mainly in rehabilitating philosophy, as for the necessity to practice philosophical thought when it is of great impotance in scientific and daily life**.**

Key words : child, philosophie, education, criticism.

1.مقدمة:

إن تسيير الوسط المدرسي، يقتضي بالضرورة وجود تأطير قادر على توجيه التعليم في المسرى الذي يحقق الاهداف التربوية المنتظرة، والتي تنص على تكوين التلميذ تصبح تكوينا ايجابيا وفعالا في مجتمعه، وفي حالة غياب هذا التكوين المبني على الفضول الفلسفي، والمعرفي، يصبح الطفل ضحية داخل المجتمع، و الاسرة، و المدرسة (نوف، 2022، صفحة 22) وتعد هذه الاخيرة مكونا مهما من مكونات العملية التربوية التعليمية، إذ تعمل على تربية الطفل، و تكوين شخصيته في جميع النواحي لتحقيق توافقه الاجتماعي، و الانفعالي، مع بيئته أي انها مصدرا لتعليم الطفل، وتنمية سلوكه و تفكيره وأدواره المختلفة، التي سيأديها مستقبلا، وللصغار الدور الأكبر في بناء الصرح الحضاري، هذا ما يؤدي الى ضرورة توعية المختصين في مجالات الطفولة النفسية، والتربوية، على توعية المؤسسات و ارشادها لاختيار المنهج الصحيح، الذي يساعد الطفل على تغذية فكره تغذية سليمة، وخاصة في الطور الأول من التعليم أي انطلاقا من المرحلة الابتدائية (نوف، 2022، صفحة 31) أي أنه لا بد على المؤسسات ان تربي الطفل تربية متكاملة جسمية، وعقلية، مع ضرورة منحه الحق الكامل في طرح اسئلة فلسفية لإشباع الفضول المعرفي، الذي طالما كان مسيطرا على عقله، لكن هذا الاشباع لا يقتصر فقط على المؤسسات التعليمية، و التربوية، بل لا بد وأن يبدأ أولا بالأسرة، التي تجد نفسها مجبرة على الإجابة على كل التساؤلات الفلسفية، التي يطرحها الطفل، والتي تعد بالنسبة له أمور مبهمة، و استفهامات غير واضحة يعمل على البحث عن أجوبتها، سواء داخل الأسرة، أو خارجها، وذلك انطلاقا من سن الرابعة .

بالرغم من أن الأسرة، و المؤسسات التربوية هي العنصر الفعال في تربية الطفل، و تكوبنه (نوف، 2022، صفحة 53) إلا أن المنضومة التربوية، و الأسرية، لازالت تفتقر إلى جانب مهم في حياة الطفل و تنشئته الاجتماعية، و المتمثلة أساسا في تغذية الطفل تغذية فكرية فلسفية، ونحن هنا من خلال هذه المداخلة نسعى الى إحداث تغييرات اجتماعية، و تربوية تعليمية، نسعى من خلالها إلى محاولة توجيه هذه المؤسسات إلى تفعيل الفعل الفكر الفلسفي، في عقل الطفل، وذلك من خلال إدخال الفلسفة داخل المنظومة التربوية بداية من المؤسسات الابتدائية، ومن الأهداف التي نرجوها

من خلال هذا البحث هو العمل على تعليم الطفل عملية التفلسف، و أعطته الحق الكامل في الممارسة الفكرية الفلسفية بكل حرية وهذا ما سيفتح لنا باب التساؤل و النقاش :

كيف يمكن لنا بناء صرح فلسفي داخل منظومة تربوية لا تعترف تماما بدور الفلسفة في الحياة الاجتماعية و التعليمية للطفل؟ وهل يمكن صياغة الفلسفة كمادة ضرورية وواجبة داخل البرنامج التربوي في الطور الابتدائي حتى يتسنى للطفل ممارسة حقه في التفلسف؟

لقد اعتمدنا على المنهج التحليلي، كون الأنسب في تجزأة الأفكار، ومعالجة موضوع البحث بأسلوب متعمق، وفي ضوء هذا يتم استنباط احكام و قواعد، يمكن أن نتوصل من خلالها إلى نتائج إجابية.

2.: الطفل

1.2 تعريف الطفل:

إن هذا المصطلح يطلق على الجنسين معا الذكر و الأنثى، وهي مخلوقات بشرية تتمتع بالحقوق وتقوم بمختلف الواجبات.

التي ينبغى على مختلف المؤسسات الاجتماعية، و الاقتصادية، و الثقافية، توفيرها له، كما أن تحديد مفهوم دقيق للطفل، أمر صعب جدا، وذلك بسبب اختلاف الآراء ووجهات النظر، بين علماء النفس، و الاجتماع، ورجال القانون، وغيرهم ممن يهتمون بالطفل و الطفولة.

الطفل لغة: "الطفل لغة من الفعل الثلاثي طفل، و الطفل هو النبات الرخص، والرخص الناعم، والجمع طفال، وطفول والطفل، و الطفلة الصغيران، جمعه أطفال ومؤنثه طفلة، والطفل بكسر الطاء المولود، أو الوليد حتى البلوغ والصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم" (حياة، 2017، صفحة 09)

الطفل اصطلاحا:حسب اتفاقية الأمم المتحدة بشأن حقوق الطفل؛ فقد وضعت تعريفا للطفل بوصفه أنه كل انسان لم يتجاوز الثامنة عشر، فكل كائن انساني لم يبلغ هذا العمر، فهو يعتبر طفلا (الخطيب، 2011، صفحة 24)أما بالنسبة لمفهوم الطفل عند علماء الاجتماع، فقد تباينت وجهات نظرهم حوله وقد سلكت هذه الرؤى، ثلاث وجهات اساسية:

الاتجاه الأول: هذا الاتجاه، يرى أن مفهوم الطفولة يتحدد بسن معينة، تبدأ من ميلاده و تنتهي في سن الثامنة عشر من عمره.

الاتجاه الثاني: يقر هذا الاتجاه أن فترة الطفولة، هي المرحلة الاولى التي يبدأ لطفل في التكون فيها، تبدأ من يوم ميلاده، الى بداية سن البلوغ.

الاتجاه الثالث: وهو الذي يرى أن لطفولة تمثل فترة الحياة تبدأ من يوم الميلاد وحتى الرشد فعند بلوغ سن الرشد تنتهي فترة الطفولة، وقد تنتهي إما عند الزواج إما اثناء البلوغ، لكن بالرغم من اختلاف الرؤى و المفاهيم نجد أن هناك نقطة اتفاق جماعية؛ حيث أن الاتجاهات الثلاث، قد اتفقوا على أن فترة الطفولة تنطلق من الميلاد، في حين أنها تتباين في الفترة التي تنتهي بها مرحلة الطفولة.

أما علماء النفس، يرون أن مفهوم الطفولة هذا يمتد من مرحلة تكون الجنين في الرحم، وتنتهي بالبلوغ الجنسي الذي تختلف مزاياه، و مميزاته، بين جنسين مختلفين، فلكل من الذكر، و الأنثى معالم جنسية مختلفة عن الآخر (الخطيب، 2011، صفحة 21)

2.2 مفهوم الطفل في الفلسفة:

يعلن الفيلسوف "جون جاك روسو" أن الطفل هو ذلك الكائن الكامل، ولكن ليس بالمعنى الذي نرى به الرجل في الطفل، وإنما بالدلالة التي ترى، أن الطفولة هي مرحلة متميزة عن بقية مراحل النمو الأخرى لها خاصية السير الطبيعي نحو الاكتمال بالشكل الذي يجعل درجة النضج متوافقة لها، أي أن التصور الذي قدمه روسو على الطفولة، جعل من الطفل كائنا نوعيا، له خصائص منفردة، هذه الاخيرة التي جعلته يتميز عن باقي مراحل النمو الانساني، ولقد انتبه جون جاك روسو إلى التمييز الدقيق بين الرجل، و الطفل الراشد في قوله" إن المبدأ الذي يحكم نشاط الطفل هو نفسه الذي يحكم نظيره لدى الرجل، لكن ميكانيزمات؛ هذا النشاط و طبيعة الحاجات، و الاهتمامات، هي التي تختلف بينهما" (الخطاط، 2015، صفحة 242).

3. ماهية الفلسفة

1.3 حقيقة الفلسفة و جذورها

لقد بذلت جهودا كبيرة، من أجل تحديد ماهية الفلسفة بصورتها العامة، ولذلك بدأ العديد من العلماء، و الباحثين في طرح تساؤلات عنها، مثل ما هي الفلسفة؟ وهل الحقائق التي جاءت بها الفلسفة، هي حقائق خالدة؟ وأي مكان في الفلسفة يمكن أن نهبه للمنظومات الفلسفية؟ ولماذا يتميز هؤلاء الفلاسفة بالغموض إلى درجة كبيرة؟ كل هذه الأسئلة كثيرة الطرح، سوف نحاول الاجابة عنها، من خلال تقديم مفاهيم متعددة للفلسفة (أركييه، 1999، صفحة 35).

إن الفلسفة رغبة في اكتساب المعارف، فهي لا تقتصر فقط على طرح تساؤلات، وإنما يحاولون التغلغل في عمق الفكرة، و تحليلها، و البحث عن أسباب وجودها، ومن ثم يقومون بالإجابة عنها، وهذه الاجوبة تعد بالنسبة لهم أجوبة شاملة، و صحيحة، و مطلقة فأفلاطون مثلا، نجد أنه مقتنع تماما بما يقوله عن العلم صحيح لديه، ولدى جميع الناس وذلك في كل المعارف، وديكارت هو الآخر مقتنع تماما أن الميتافيزيقا التي جاء بها، قد سنت حقائق نهائية؛ سوف يعترف الناس من خلالها بفضله عليهم في الكشف عنها، وهكذا بالنسبة لبقية الفلاسفة أمثال "إمينوال كانط"، "سبينوزا"، "روسو" و"جون لوك" وغيرهم، وإذا ركزنا في ماهية الفيلسوف، وشخصه نجد أنه يشبه الطفل من حيث السذاجة، إنه معذب مثله مثل الطفل في مسائل، و مشكلات، ربما تكون غير قابلة للحل، فيقوم بطرح تساؤلات وحين لا يقوم الناس بالإجابة عنها، فهو يقر بأنهم منشغلين عنها في أمور أخرى، قد تكون أمور سياسية أو اجتماعية، كالعمل على كسب المال، و غيرها (أركييه، 1999، صفحة 35) أي أن هؤلاء الناس منشغلون تماما، في أمور أخرى، بعيدة تماما عن البحث في الوجود، و المعرفة، و القيم التي تعد مجالات رئيسة في الفلسفة.

عرفت الفلسفة بأنها البحث عن العلل البعيدة للظواهر، وذلك في مقابل العلم الذي يبحث عن العلل القريبة للظواهر، لكن الناس كثيرا ما تخطئ، في فهم العلل البعيدة، كونها علل مخفية تنسب إلى قوى مجهولة، كما يفهموها أنها مرتبطة فقط بالعلل الروحية، و الدينية، التي تسلمنا إلى علة العلل، وهي الله ومن هنا يمكن أن نجعل الفلسفة ضربا من المجهول، وبحثا عن الغيبيات، والماورائيات،ولكن الفلسفة ليست بالدين، ولا بشيئ آخر فالفلسفة ليسن هذا ولا ذاك و انما دائما ما تحاول فهم الواقع و التعمق فيه و الكشف عن أغواره التي لا تظهر الى العيان (هويري، 1989، صفحة 23) هذا يعني أن للفسلفة أهمية كبيرة في الحياة الانسانية، كونها تهتم بالواقع، و بالإنسان

في حد ذاته كونه كائنا مفكرا، بما انه كائنا مفكرا فإن هذا التفكير ينطلق أساسا في محلة معينة من عمره،و التي تتمثل أساسا في مرحلة الطفولة أين يبدأ الطفل بطرح العديد من التساؤلات دون أي إحراج، مثل: كيف خلقت في هذه الحياة؟ ومن هو الله؟ وكيف هو شكله؟ كل هذه الاسئلة نجدها متداولة عند الطفل وخاصة في مرحلته التعليمية الأولى وهذا ما يستدعي بالضرورة إدراج الفلسفة كمادة علمية تربوية في الابتدائي، كونها ترتبط ارتباطا وثيقا بفكر الطفل، فهي تعمل على اثراء فكره و اشباع فضوله الفلسفي.

4.الطفل و الفكر الفلسفي:

1.4 علاقة الطفل بالفلسفة

إن العلاقة بين الطفل، و الفلسفة، هي علاقة تأثير، و تأثر، حيث يتبادل من خلالها الطرفان هذه العملية، فقبل أربعين عاما دشن "ليبمان" حركة الفلسفة للأطفال philosophy for children ومختصر الجملة –p4c، وذلك قصد ادخال الاطفال في عالم الفلسفة، كونها ممارسة التفكير في كل مجالات المعرفة المختلفة، فإن لقاء الفلسفة بالطفولة يعني اغناء فكر الطفل في كل جوانب الحياة، وقد أقر العديد من الباحثين، و الفلاسفة، بأن هناك أدلة تجريبية واضحة، تؤكد على أن تعليم الطفل الفلسفة عن طريق القصص، يساعد بشكل كبير جدا في تحسين قدرة الطفل على القراءة، و الكتابة، و الرياضيات، كما تساهم الفلسفة من جهة أخرى، على تعزيز ديمقراطية التعليم، وذلك من خلال توضيحها لمفاهيم العدالة، الحرية، الشخصية، الحق، الواجب، العدالة، و الفضيلة، وغيرها وذلك من خلال محاولة ممارسة الفكر التأملي فيها، والتي تؤثر بدورها على تجربة الطفل في حياته اليومية المعتادة (زتيلي، 2017، صفحة 107) أي أن ممارسة الطفل لفعل التفلسف في المدارس سيساعدهم فعلا في الفهم الجيد لتعاليم هذه الحياة، وبالتي إغناء فكرهم هذا الإغناء الذي سيمكنهم من الولوج الى العالم الاجتماعي، و فهمه بأبسط الطرق، وبالتي يصبح نسخة نسبية غير مكتملة من الراشدين الكبار (زتيلي، 2017، صفحة 108)ففي فلسفة الطفولة التي نتحدث عنها هنا، هي حركة يمكن أن تعب عن فكر الطفل في مختلف القضايا و الإشكاليات، فهي اذن فلسفة جمالية، و أخلاقية، وسياسية، و اجتماعية و ميتافيزيقية، يعني أنها صوت إما أنه يقبل أو يرفض

هذا الرفض، يعني الاستمرار في التمييز، و التجاهل الذي يؤدي إلى نفيها و إقصائها، بينما تعمل هذه الفلسفة على خلق التساوي بين الراشد، و اطفل في إكتساب المعارف، وتدعوا الى التخلص من تلك التمييزات، التي طالما وضعت الفلسفة في حيز الكبار فقط، هذا التمييز لا نجده في الفلسفة فقط، و انما في الاختلافان بين الأجناس، أي بين النساء و الرجال بين الطفل و الراشد، بين السود، و البيض،لكن لا يمكن ممارسة هذا الاختلاف، و التمييز في عملية التفكير ما يستدعي بالضرورة إلى قلب علاقة التراتب، بين هذه الثنائيات الى علاقة مساواة واضحة (زتيلي، 2017، صفحة 109) هذا يعني أن فلسفة الاطفال تعمل جاهدة على اعادة الاعتبار الى كل ما هو مقصى وخاصة عملية ممارسة الفكر الفلسفي لدى الطفل وخلق التوازن و التساوي بين فكر الطفل و فكر الراشد، فعملية تكوين الطفل، وترويض عقله فلسفيا، و علميا، لابد وأن تبدأ أساسا من مراحله تكوينه التعليمي الأول حتى يتسنى له كسب العديد من المعارف، هذا الثراء المعرفي يجعل منه كائنا مشبعا فكريا مما يسهل عليه التكيف مع الحياة، وفهم الواقع بطريقة منطقية، يعني الفلسفة أساسا اذا ما بحثنا في اغوارها نجد أنها لابد تكون مصاحبة للطفل منذ بداياته التربوية، و التعليمية الأولى، وليس من الطور الثانوي أين يجد التلميذ نفسه أمام تساؤلات، تبدوا أنها محرجة بالنسبة اللى الانسان الراشد، على عكس لطفل الذي يقوم بطرح اسئلة محرجة لكن دون اكتراثه بذلك فهمه الوحيد هو البحث عن الاجابة وهو أمر ايجابي، هذا ما جعلنا نحرص على توجيه التعليم توجها فلسفيا قبل كل شيئ لأنه السبيل الوحيد الذي يعزز القدرات العقلية للطفل، ويشبع فضوله المعرفي.

5. مهارات التفكير الفلسفي لدى الأطفال:

1.5 الأنموذج الدبكارتي

لقد أدى الانموذج الديكارتي إلى تطوير إيديولوجيا التعليم في السنوات الأخيرة فهي تسير جنبا إلى جنب مع تسويق التعليم وتحوله الأداتي في عصر اقتصاد المعرفة، كما دعى "ديكارت" الى إعادة فهم التفكير، و الطريقة التي نعلم بها كيفية التفكير للأطفال، وذلك عن طربق وضع امكانيات ووسائل يتعلم من خلالها الطفل طريقة في التفكير، و التفلسف، ولقد صاغ "المنهج القومي البريطاني" مهارات معينة في تعليم التفكير للأطفال وهي على النحو التالي:

–مهارة معالجة المعلومات: هي مهارة وقدرة تمكن الطفل من تحديد المعلومات التي لديها علاقة ببعضها البعض، وجمعها وفرزها ومقارنتها وتمييزها وتحليلها كليا وجزئيا (زتيلي، 2017، صفحة 114)

– مهارة التعليل و البرهنة: تمكن الطفل من دعم أفكاره، و أرائه، و أفعالة، ذلك بالاعتماد على الحجة والدليل مع ضرورة الاعتماد عى اللغة الدقيقة، و الواضحة، لأنها العنصر الأساسي التي نشرح من خلالها كل ما نفكر به.

– مهارة التحري البحث: تمكن هذه المهارة من إثارة أسئلة مناسبة، وطرح المشكلات وتحديدها، و التخطيط للأمر الذي نود القيام به، مع التنبؤ بالنتائج و توقعها هذا ما يساعد اكثر عى تطوير ونمو الفكر عند الطفل.

– مهارة التفكير الميدع: هذه المهارة من شأنها أن تولد افكارا جديدة وتطورها، وبذلك يتمكن الطفل من الوصول إلى وضع فرضيات واستخدام الخيال، والبحث عن نتائج جديدة.

– مهارة التقييم: تمكننا من تقييم المعلومات في مدى صحتها، ومن تحديد قيمة الذي نقرأه وما نسمع وما نعمل، ومن تطوير معاييرنا الخاصة، التي نحكم من خللها على أعمالنا و أفكارنا، وكذا بالنسبة للحكم على أعمال الاخرين من حولنا (زتيلي، 2017، صفحة 115).

من هنا يمكن القول أنه يجب النظر إلى هذه المهارات من زاوية أنها عمليات عقلية، وهذا ما يعزز تلك الفكرة السائدة، في تعليم الأطفال هذه المهارات، و تدريبهم عليها، لان المهارات تكتسب عن طريق التدريب، و التجربة، وذلك من أجل الوصول الى معارف يقنية وبديهية مثلما يصفها "رونيه ديكارت" (زتيلي، 2017، صفحة 116) من هنا يمكن فهم أن هذه المهارات لابد وان تكتسب الأزمات، وضرورة كونها عمليات عقلية، والعقل هو الملكة المدبرة، و المحللة، التي يتسنى لنا من خلاله الوصول إلى معارف سواء كانت بسيطة أو مركبة، وللطفل حقه الخاص في ممارسة هذه المهارات التي تتطلب جهدا، و تدريبا، و عملا متواصلا، تمكن من تكوين طفل ناضجا فكريا، يعني ان الفلسفة هي مشروع جديد للأطفال نعيد من خلاله بناء تاريخ جديد للفلسفة، و نكشفه للأطفال، اي التفلسف مع الطفل هو الذي يقودنا الى اشراك هذا الصبي في عملية البحث، والتحري و البحث عن الحقيقة.

6.الاطفال و الدرس الفلسفي:

1.6.لقاء الفلسفة و الطفولة

تشير نظرية التطور المعرفي "لجون بياجيه"، أن معظم الاطفال قبل سن 11 و12 غير قادرين على التفكير في الدرس الفلسفي، ولا في التفكير الفلسفي، وفي اعتقاده ان هذا يعود الى أن الاطفال قبل هذا العمر لا يستطيعون "التفكير حول التفكير"، وهو نوع إلى من مستوى التفكير الذي يتصف به التفكير الفلسفي.

أما الفيلسوف "غاريث ماثيوز" يرى رؤية عكسية "لجون بياجيه" حيث أقر أن ب"ياجيه" قد عجز عن أن يرى التفكير الفلسفي الظاهر لدى كل طفل قام بدراسته، ولقد قدم لنا "ماثيور" العديد من الأمثلة حول الفضول الفلسفي لدى الاطفال الصغار جدا مثلا:

(الطفل تيم يبلغ من العمر 6 سنوات): كان هذا الطفل منعمقا في لعق الإناء طرح سؤالا على أبيه قائلا: أبي كيف نعرف أن كل شيء ليس حلما؟ وكيف يمكننا التأكد من ذلك؟

(جوردان البالغ من العمر 5سنوات): أثناء ذهابه الى النوم مساءا على الساعة الثامنة سأل" اذا ذهبت الى الفراش للنوم في الساعة الثامنة وصحوت على الساعة السابعة صباحا،كيف أتأكد حقا من ان العقرب الصغير للساعة قد دار مرة واحدة فقط؟ هل يتعين عليا السهر طوال الليل لمعاينته؟ واذا نظرت بعيدا ولو لبرهة فلبرما يدور العقرب الصغير مرتين؟"

هذه التجارب و الحكايات قد حصل عليها "ماثيور" من أصدقائه، لأنهم كانوا يعرفون تعلقه الكبير بالتفكير الفلسفي لدى الأطفال، لكن هذه التجارب لاتقتصر على الكبار فقط، وإنما يمكن أن تكون هذه الأسئلة صادرة من إنسان راشد (بادغيش، 2017، صفحة 3) هذا يعني أن كل هذه لتجارب التي مر بها الأطفال دليل على بروز التفكير الفلسفي الواضح في اذهانهم بداية من سن الرابعة أو الخامسة،كما لا يمكن أن نمنع الطفل من طرح اسئلة حول الحياة اليومية، التي يعشها لان الطفل يتأمل يتعجب، يسأل، هدفه هو الحصول على أجوبة واضحة لكل الاسئلة التي يقوم بطرحها دون وجود أي حرج في ذلك.

لكننا بحاجة إلى حكايات و تجارب أخرى لأطفال يفوق سنهم السابعة اي من سن 8 إلى 11، وذلك قصد تبيين أن الاطفال قادرين فعلا على التفكير الفلسفي الجاد، وفي هذا الصدد قدم لنا ماثيور أمثلة توضيحية فعندما كان يجلس مع أطفال في سن 8 و11 كان يستخدم المثال التالي، وذلك قصد افتعال قصة للمناقشة:

أيان طفل في عمره 6 سنوات وجد أن 3 أطفال من أصدقاء والده قد احتكروا مشاهدة التلفزيون وأبعدوه عن مشاهدة برنامجه المفضل، وكان يسأل أمه وهو محبط،أمي لماذا وجد 3 أطفال أنانيين بدلا من أن يوجد طفلا واحدا فقط؟، ولقد اثارت هذه القصة التي سردها "ماثيور" نقاشا فلسفيا حيويا حيث قام هؤلاء الأطفال بالبحث عن ايجاد أجوبة، وحل لهذا السؤال الشيق، لكن هم كانوا يبحثون عن جواب يرضي كل الاطراف دون منازع (بادغيش، 2017، صفحة 04) من هنا نفهم أن "ماثيور" قد نهج منهجا سليما، ودقيقا، خلق من خلاله روح الحوار و النقاش الفلسفي الفعال بين مجوعة من الأطفال وهذا ما إذا دل على شيء فإنه يدل على حب الطفل للتفلسف، و تعلقه به هذا ما يسهل لمعلم تقديم الدرس الفلسفي للطفل بكل اريحية.

7. فلسفة الاطفال وتطوير النمو الفكري

1.7. تأسيس معهد الفلسفة للأطفال

في منتصف السبعينات من القرن العشرين أنشأ معهد تطوير الفلسفة بشكل رسمي، وكان موقعه في كلية مونتيكلير الحكومية، وسرعان ما قامت وسائل الاعلام بكتابة تقارير، رصدت من خلالها التحسن الكبير في القراءة ومهارات التفكير للأطفال في المرحلة المتوسطة وهؤلاء الاطفال هم الذين شاركوا في برنامج هذا المعهد.

لقد قدم هذا المعهد مجموعة من المواد المتكونة أساسا من روايات للأطفال، التي كتبها ليبمان ومن ثم تقديم مجموعة من البرامج التعليمية، في هذا المعهد الى عدد هائل من الأطفال في نيوجيرسي الواقعة بالولايات المتحدة الأمريكية u.s.a، وشمل هذا البرنامج معظم دول العالم (بادغيش، 2017، صفحة 14) ومن السمات التي تميز بها "معهد تطوير الفلسفة للأطفال"تجاه موضوع الفلسفة للأطفال على أنه يتميز بالتشجيع على فكرة تبادل الطلاب لمجموعة الافكار،

والآراء، بكل احترام ووضوح، كما أنه ينظر إلى الطالب على أنه صاحب قدرة كبيرة، في تقديم إسهامات لمجموعة من المواضيع التي هي قيد البحث ومن بين المميزات الرئيسية التي يتمتع بها هي عدم تهميش أفكار ورؤى أي طالب من الطلاب مهما كانت نوعية الفكرة، ومهما كانت طبيعة ذلك السؤال، كما يحث الطلاب على تطوير مهاراتهم في الاستماع لأفكار الآخرين، ومحاولة دعمها و تطويرها، واذا كانت تلك الافكار خاطئة فهم يعملون على اعادة صياغتها، و تركيبها، وتعديلها في مسرى جديد، هذا ما يؤكد لنا بشكل واضح تماما على أن هذا المعهد، يعمل على توجيه الطالب توجها عقلانيا هذا التوجه، الذي يشجع على البراعة في التفكير على حد تعبير " لورانس جيه" و "آن مارغريت"، بحيث صرحوا أن:

"التفكر بصورة رئيسية هو نزعة اجتماعية، فالشخص العاقل يحترم الآخرين، وعلى استعداد للأخذ في اعتباره وجهات نظرهم و مشاعرهم .

إلى حد تغيير رأيه" (بادغيش، 2017، صفحة 15)، من هنا يمكننا القول أن معظم الدول قد عملت جاهدة على تكريس مبدأ تعليم الفلسفة للأطفال، و الدليل على ذلك هو المعهد الذي أسس قصد إعادة الاعتبار للتفكير الفلسفي لدى الطفل.

إن مثل هذا العمل يستحق المكافئة، لأنهم اعادوا الاعتبار إلى ملكة الفكر الرئيسية ألا وهي الفلسفة، هذا من جهة في حين نجد أنه قد كرس الى مبدأ تكافئ الفرص بين مجموع الطلاب، دون النظر الى مستواهم العلمي أو الفكري، و إنما كل ما كان يهدف إليه، هو ترويض عقل الطفل على الممارسة الفكرية الفلسفية أولا وخلق ذلك الإبداع الحر في ذهن الطالب، أو الطفل، مع ضرورة احترام أفكار الآخرين.

8.الفلسفة الراهنة و الطفل

1.8 تربية الطفل على الفلسفة و رهان تأسيس العقلانية المرحة فيهم

تعمل الفلسفة الراهنة على بذل مجهود كبير في اعادة احياء الفكر الفلسفي، وذلك بدعم مجموعة المؤسسات التربوية التعليمية، على زرع الروح الفلسفية لدى الطفل.

وعلى ضوء الاهتمام العالمي سريع التوسع للفلسفة للأطفال تم انشاء " المجلس العالمي للاستفسار الفلسفي مع الأطفال"(jcpic)، وذلك كان في عام 1985م، إذ يرعى هذا المجلس مؤتمرا دوليا كل عام مع مجموعة من الضيوف من أستراليا، النمسة، و البرازيل، و انجلترا، و المكسيك وأسبانيا وتايوان، أما بالنسبة الى المؤتمر الأحدث فهو ذلك المؤتمر الذي عقد في اسبانيا وبالتحدي في مدريد قامت بتنظيمه فيليكس جراسيا– موريون وقد حظر الى هذا المؤتمر أكثر من 400 مشارك جاءوا من مختلف دول العالم (بادغيش، 2017، صفحة 18)

لقد انتشرت مصادر، و طرق جديدة للتدريس، تقوم بإشراك الاطفال في مجموع المناقشات الفلسفية، حيث ساهم الباحثين و العلماء من بينهم "غاريث ماثيور" باستعراض قصص الأطفال في مجلة (thinki)، ثم في المجلة الرسمية للمعهد وهذا ما أثار الهام "توم ووتنبيرغ"، وذلك قصد تطوير برنامجه الفلسفي الناجح لمرحلة ما قبل الكلية في كلية "ماونت هوليوك" ، ولقد نال هذا البرنامج جائزة، ويحتوي هذا ابرنامج الذي قام بوضعه على مجموعة من القصص الكلاسيكية.

من جهة اخرى نجد أن الفلسفة الراهنة قد اعتمدت في طياتها على التقنية الحديثة، والمتمثلة اساسا في شبكة الأنترنت التي تمكن عملية التواصل بين الافراد وكذا بين الأطفال، لسيما مع المربيين الذين يهتمون بالفلسفة للأطفال، لكن هذه المواقع لا تستمر الى وقت طويل عبر الشبكة العنكبوتية وذلك لأسباب مجهولة (بادغيش، 2017، صفحة 19)

إن ما يطرح نفسه في النقاش الراهن، هو القدرة الفعلية للأطفال على التفلسف، لكن هذا السؤال لا معنى له ما لم الخطوات، و المراحل، التي نمر بها حتى نصل الى النشاط الفكري الفعال، وهذا النشاط يعتبر نشاطا فكريا نقديا، تم إحياءه في القرن العشرين، ضمن ابحاث علم النفس المعرفي حيث درس "جون بياجيه" في فرع علم النفس التكويني للطفل، استقرار الحالة المنطقية الصورية عند عينة تمثيلية من الأطفال بين عشرة و اثنا عشرة سنة، أي في نهاية المرحلة الابتدائية، و بداية المرحلة الاعدادية، هذا الانتقال إلى هذه المرحلة الأساسية، هو الذي يسمح ببناء فكر تأملي للمراهق في المرحلة الاعدادية حيث يجدون انفسهم يطرحون أسئلة وكأنهم يطرحونها لأول مرة، ومعظم هذه الاسئلة تطرح حول الجمال الخير السعادة، الحياة، الموت وهي أسئلة مهمة دائما ما نجدهم يتهربون من الإجابة عنها (طوزي، 2017، الصفحات 334–333) وعلى الرغم

من هذا التهرب إلا اننا لابد وأن نحفزهم ونضعهم في الصورة من خلال الإنصات لهم، ومرافقتهم من أجل تجاوز جل الأخطاء التي يقعون فيها مع ضرورة وضع أولياء الأمور، و المربيين، والمعلمين ضمن هذه الاهتمامات حتى نتمكن من بناء فلسفة عصرية وراهنة مكسوة بحب وتعلق الطفل بالفلسفة في عصر تشوبه الاختلالات، و تسيطر عليه التجاوزات الاخلاقية المختلفة.

9.حق الطفل في التفلسف

1.9. وظيفة الفلسفة في المدرسة وداخل الأسرة:

تلعب الفلسفة دورا مهما داخل المحيط المدرسي، حيث أنها تمكن التلميذ، و الطفل من اكتساب لغة سليمة وفكر متوازن، لأن الفلسفة هي عبارة عن نقاشات، و حوارات شفوية، هذا ما يساعد الطفل أكثر على اكتساب لغة سليمة، وواضحة، و الفصاحة اللسانية، كما أنها تجعل من الفكر فكرا ناضجا وفق آليات عقلانية و منطقية، بمعى آخر يمكن القول أن الفلسفة تعزز الفكر الشفهي، والفكر العقلي، وهذا ما يحيلنا للحديث عن الفكر، و اللغة، و ضرورة تحقيق الانسجام بينهما، ففي وقت مضى كانت هناك تناقضات في الرؤى الفلسفية عن من هو أسبق الفك، أم اللغة، حيث العديد من الفلاسفة بجعل اللغة مجرد وسيلة ثانوية تعبر فقط عن أفكارنا، لكن الواقع يقول عكس ذلك، فلولا وجود هذه الملكة لما تمكنا من معرفة ما يجول بذهن الطفل، وهذا دليل واضح على أهمية اللغة، في اكتساب و معرفة المعرفة (طوزي، 2017، صفحة 335)بمعى آخر يمكن القول، أن تحقيق التفلسف السليم لابد وأن يقوم أساسا على التكامل بين اللغة، و الفكر، حتى نستطيع بناء صرح فكري صلب ووق معايير قيمة، ومن جهة أخرى نجد أن الطفل محروم من حقه في التفلسف، كون هذه المادة غائبة تماما عن البرنامج المدرسي للطور التعليمي الأول، فدون فلسفة لا يمكن الخروج من قوقعة التعليم العام، لأننا نجد أن تدريس هذه المادة يقتصر فقط على الطور الثانوي (طوزي، 2017، صفحة 336) وهذه هي المشكلة تحديدا فالطفل حينما لا يتدرب عللى التفكير الفلسفي منذ الصغر كيف يمكنه أن يناقش، أو يسطرح تساؤلات في مرحلة النضج هو يجد نفسه أمام مواقف محرجة، تجعله يتراجع عن طرح السؤال، وقد يلقى انتقادات كبيرة من طرف المستعين، ومن طرف النقد، و بالتالي تغيب تلك الحرية، التي نجده اساس في مرحلة الطفولة فالطفل في تلك

الرحلة له الحق الكامل في طرح أسئلة فلسفية دون احراج ودون انتقادات، لكننا و للأسف الشديد نجد أولياء الأمور، أو المربين، لا يجيبون أصلا عن تلك الأسئلة معتبرين إياها أسئلة بديهية من قبل طفل صغير لكن الطفل نجده دائما يركز ويعيد نفس الأسئلة، وفي حالة عدم الإجابة عن تساؤلاته يقوم بردات فعل غير ايجابية، مثل البكاء مثلا، أو الصراخ، مما يجعل ولي الأمر، أو المربي يتصرف بطرقة غير لائقة معه، أي استعمال العنف، هنا بالتحديد يشعر الطفل بالخوف وهذا ما يجعله يستغني عن تلك الأسئلة و لا يطرحها مجددا بفعل أسلوب التخويف و الترهيب، وبالتالي يشعر بأن حقه في اشباع فضوله الفلسفي و الفكري هو حق مسلوب، لكن لابد لنا أن نعيد الاعتبار للفلسفة داخل الحيز الفكري للطفل لأن الطفل له الحق الكامل في معرفة الواقع الأسري، والمدرسي، و الاجتماعي، و الحياتي بصفة عامة، وحين نعطيه هذا الحق وكأننا اعطيناه الحياة بأسرها، هنا يشعر الطفل بالحرية الكاملة مما يجعله يعمل على اثراء عقله من جهة، وتعزيز قدرته أكثر في التعلق بالفلسفة و حبها.

10.نقد وتقييم: نقد شخصي

نستطيع القول، أن الفلسفة مهمة جدا في الحياة اليومية للأطفال، وفي الحياة العلمية الخاصة بهم كونها تغذي العقل، وتروضه على طرح أسئلة وتخلق في ذاته قوة التفكير والابداع، ولقد لاقت فكرة تدريس الفلفة للطفل استحسانا كبيرا من قبل العديد من الباحثين، والعلماء خاصة علماء النفس، والفلسفة، لكن وللأسف الشديد، نجد أن هذه الفكرة من جهة أخرى فيها نوع من الريبة بحجة، أن الطفل في السن المبكرة، لا يمكنه أن يمارس عملية التفلسف، لأنه لا يملك الزاد اللغوي الكافي، الذي يمكنه من ممارسة هذا الفعل، كما أن فكره في تلك المرحلة يكون مقتصرا فقط على الأشياء البديهية الواضحة، التي سوف يتعرف عليها تدريجيا في مرحلة نموه وفي مرحلة تعلمه، وبالتلي فهو بحاجة إلى فكر بسيط، يتوافق و القدرة المعرفية التي يمتلكها، لأننا لو عودنا الطفل على التفلسف منذ الصغر قد يدخل في مواضيع خطيرة أثناء بلوغه سن الرشد ولذلك يجب أن نعلم الطفل التفلسف في الأشياء المفيدة، و التي سوف يحتاج اليها مستقبلا، بمعنى آخر يجب الحرص على عدم إدخال الطفل الى عالم الزندقة، كتعليم الطفل مثلا فكرة وجود الله، والملائكة وغيرها، كل هذه الأمور تؤدي

به إلى الخروج عن الدين، وهذا بالنسبة الى المجالات الاخرى الاقتصادية، و السياسية، والاجتماعية، إذ لابد علينا دائما توجيه فكر الطفل إلى كل ما هو ايجابي، بمعى آخر ارشاد الصبي إلى الفلسفة الايجابية، التي تغذي زاده المعرفي، لأننا إن علمناه الفلسفة بطريقة سلبية هنا يصبح لفكره و تأملاته معنى آخر، مما يؤدي به الى الوقوع في متاهات لا مخرج منها، فالبرغم من صعوبة تعليم الفلسفة للأطفال، وربطها بعالم الطفولة إلا أن الأمر غير مستحيل، لأن الجهود تتضافر، والمشروع سوف يتحقق بفضل المجهودات التي يبذلها الآن الباحثين، و المعلمين، والأساتذة الجامعيين، الذين يسعون جاهدين، الى غرس الروح الفلسفية، و التأملية في ذهن الأطفال.

11.خاتمة

باعتبار الطفولة اولى مراحل الحياة بعد ولادته، فهي تعد الأساس الأولي الذي يبدأ الانسان فيها بتكوين مجموع المعارف، و الخبرات، المختلفة التي يجد الانسان نفسه مجبرا على تعلمها، لأن طبيعة الحياة تقتضي ذلك، ولكي يؤسس الانسان نفسه على التفكير السليم لابد و أن يعتمد على مجموع الطرق التي تؤهله الى ذلك، ومن بين هذه الوسائل المهمة، هو الاعتماد على الفلسفة كجانب مهم و فعال في الطور الابتدائي، لأنها مادة واجب تدريسها كونها تنمي الفكر الانساني و تغذي روح الطفل هنا يمكن الاجابة عن السؤال الذي طرحناه سابقا، و المتمثل في إمكانية تدريس الفلسفة في المراحل الاولى من التعليم، هنا نقول نعم يمكن تدريسها و لا مكان للمستحيل هنا، كما يمكن ادراجها ضمن البرنامج التربوي التعليمي، وهذا ما يعمل عليه مجموع الباحثين، و الدارسين، الذين يقرون بضرورة تدريس الفلسفة للأطفال كمادة تدعم ذهن الطفل، وعليه لابد لنا نحن أيضا من غرس هذه الفكرة لدى المؤطرين و المسؤولين عن وضع البرامج الدراسية .

12.استنتاجات و توصيات:

– الطفل عنصر فعال في المجتمع، لابد من تربيته تربية فكرية سليمة.

– لابد من التشجيع على تدريس الفلسفة للأطفال، كونها ملكة مهمة في اثراء فكر الطفل لأنه يحتاجها مستقبلا في مختلف الحوارات و النقاشات.

– للفلسفة أهمية كبيرة فهي أولا قبل كل شيء أم لكل العلوم، وبالتالي نحن بحاجة اليها في كل المجالات دون استثناء، فإهمالها يعني اهمال الفكر و اللغة معا.

– ضرورة التشجيع و الحث على وضع الفلسفة ضمن البرنامج التربوي للطفل.

– ضرورة ممارسة التفكير الفلسفي ذاخل الحيز الأسري، و الاجتماعي فهي لاتقتصر فقط على تعلمها داخل المحيط المدرسي فقط، لأن تساؤلات الطفل لا تقتصر فقط في الجانب التعليمي وانما في مختلف جوانب الحياة.

13. قائمة المراجع:

الكتب:

1. خديجة زتيلي، الدرس الفلسفي في الجزائر التحديات و الآفاق، اصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ط1، 2017
2. فريناند أركييه، معنى الفلسفة، تر:حافظ الجمالي،منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
3. فيكتور سمير نوف، التحليل النفسي للولد، تر: فؤاد شاهين، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط4، بيروت،2002.
4. ميشيل طوزي، فلسفة التربية و تربية الطفل على الفلسفة، تر: محمد الادريسي و رشيد المشهور.
5. يحيى هويري، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط9، القاهرة،1989.

المقالات و المجلات

1. حياة بوجملين، دراسات حول العنف و الاعتداء الجنسي على الطفل، أشغال الملتقى العلمي من كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد1، ط1، 2017
2. خالد الخطاط، مفهوم مفهوم الطفولة عند روسو من التربية الى علم التربية، مجلة نقد وتنوير، العدد1، المغرب،2015، ص242
3. سميرة أحمد باد غيش، فلسفة للأطفال، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة، 2017

المذكرات و الأطروحات

1. حسن انور حسن الخطيب، الحماية القانونية للأطفال أثناء النزاعات المسلحة، رسالة ماجستار،عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس،فلسطين،2011